
ل بن علي بن فيصل
من أمراء مسقط

فيصل بن علي بن فيصل
من أحرار مسقط

الأستاذ الدكتور
عبد العزيز برهام
مدير قسم اللغة العربية
الأسبوع
الإسكندرية

سلطان واستعمار

مطابع دار الكتاب العربي بمصر
مؤسسة مصرية للطباعة الحديثة

الإهـــداء

إلى الأحرار من أبناء الأمة العربية أهدى هذا الكتاب ليتأملوا فيه الصفحات السوداء للاستعمار والسلطان الذى جعل من نفسه خليفة الله فى أرضه فكانت كلمته قانوناً وأمره عقاباً أو ثواباً وشعبه سوائم عنده يسخره فى طاعته وكما تقتضيه مصالحه الخاصة .

وإلى أولئك الذين جعلوا من أنفسهم عبيداً أذلاء المستعمرين وصنيعتهم يتملقونه ويتفانون فى إرضائه ، علهم عند ما يقرأون هذه الصفحات الدامية من حياتهم تستيقظ مشاعرهم وتتحرك ضمائرهم لتدافع عن كرامتهم وحريتهم فى سبيل البقاء .

تعريف بالمؤلف

مؤلف هذا الكتاب شاب من أحرار مسقط لم تمنعه صلته بالسلطان — ابن عم السلطان — من أن يثور على الأوضاع القائمة فى بلده ... لم يرد أن يسير فى ركب الاستعمار والظلم فآثر الحرية والنور وترك منصبه الكبير فى وزارة خارجية سلطان مسقط لينضم المجاهدين الصادقين وليساهم بعلمه وقلمه وجهاده فى تثبيت دعائم القومية العربية المتحررة .

وسيجد القارىء فى هذه الصفحات آيات من البيان الحر الصادق والإخلاص للوطن وعشق الحرية والتحرير ، وإن كان سوء الحظ أن يسوء كل هذا مجرد ذكر اسم السلطان .

المؤلف



فيصل بن علي بن فيصل

ابن عم سلطان مسقط

الأستاذ الدكتور
عبد العزيز [illegible]
رئيس قسم اللغة العربية
بجامعة
الإسكندرية

صنيعة الاستعمار الأكبر

لــكى تفهم الموقف فى مسقط ،

لا بد من فهم عقلية السلطان وتاريخه ونشأته ،

فإن ما يحدث فى مسقط ،

هو نموذج للحكام الذين يصنعهم البريطانيون فى المنطقة .

السيد

السيد بلغة هؤلاء القوم معناها الصحيح من ساد قومه ، وتطلق على كل من يجرى فى عروقه الدم الأزرق . و يتوارث هذا اللقب الأحفاد عن الأجداد زهواً وفخرا .

و « سيدنا » هذا هو رأس تلك الأسرة البائسة الذليلة وصاحب الكلمة العليا فى البلاد ، فلا رادع يردعه من قبل الشعب ولا ضمير يؤنبه من قبل نفسه . وبهذه السلطة المطلقة تعامى عن الشعب والضمير والواقع وتعامى حتى عن العالم الخارجى وما يحيط به فى هذا العالم من هزات شعبية تدك العروش وتؤسس الحكومات .

هو لا يهمه من هذا العالم الخارجى سوى عالمه الخاص ولا يحاول التفاهم مع أية حكومة سوى الحكومة البريطانية التى نصبته واستعمرته هو وأجداده فجعلته سنداً يسندها ويركز أقدامها فى البلاد وجعلها هو صديقاً وعوناً عند الملمات .

بهذه الروح والضمير يعيش « سيدنا » فى هذا الكون الذى تتطاحن فيه الشعوب من أجل البقاء وتراق الدماء فى سبيل الحرية والعدالة والحياة الكريمة الأبية .

كيف نسى أن خنق الحريات لا يدوم وأن سياسة إبقاء الوضع على حالة لا تدوم أيضاً ؟ كيف نسى أن العالم يتقدم ولا يمكن أن يذعن لأمره

فيقف ؟ أيظن أن التطورات الفكرية لن تصل إلى أرضه ما دام هو يحكمها أو أنه سيكون كالنعامة عندما تدق الساعة ؟

صفحات « سيدنا » ملأى بالمآسى الإنسانية التى ينكرها الواقع والضمير الحى ولكن « سيدنا » ربما تخيل نفسه رسولا عند قومه معصوماً من الهفوات فتخبط فى سياسته يميناً وشمالا كلما أراد قمع أى تطور أو شم رائحته وكانت نتيجة التخبط هذه الصفحات السوداء الدامية التى هى مرآة تعكس صورته أمام شعبه وشعوب هذه الأمة العربية .

أرض « سيدنا » تحتها كنوز وفوقها كنوز . ففى باطنها الذهب الأسود والمعادن والآثار والخيرات وعلى ظهرها التربة الخصبة والماء الفياض . ورث هذه الأرض عن أجداده كما ورثها الأجداد عن الأسلاف فوصلته لقمة جاهزة لم يكافح بعرقه من أجلها ولم يخسر شيئاً من ماله فى سبيلها . بل جاهد أول ما تبوأ لتوطيد نفسه ودعم اقتصادياته فكون له بعد أعوام رأسمال يقويه ويحميه من غضبة شعبه . وما هذا المال ماله الخاص الذى ورثه مع أرضه ولكنه مال الشعب ابتزه منه رسوماً وضرائب فرضها عليه .

إنه — لسوء حظه — ورث الأرض وما عليها بلا مال فى خزينته بل كان عجزاً فى ميزانيته . ولكنه باقتصاده الاستغلالى المصاص لدماء الشعب سدد ديونه ووفر المال كنواة للمستقبل فى خزائنه . وكان من نتيجة هذا العمل أن تبجح هو وأذنابه وأشادوا بذكائه وحنكته وكياسته

وسداده واقتصاده . وما درى هؤلاء المساكين أن « سيدنا » لا يختلف عن ذلك الإقطاعى الذى يتنعم ويجمع المال على حساب فلاحيه فهم يشتغلون ويكدون ويجلبون له الرزق والخيرات ولكن بدون أن يشاركوه أو يحاسبوه أو حتى يسألوه .

الفلاحون أجراء فى أرض ذلك الإقطاعى وشعب « سيدنا » عنده عبيد أرضه يأمرهم فيطيعون وينهاهم فيرتدعون . كأن الله أرسله رسولا ينهاهم عن الفحشاء والمنكر والبغى .

***

هذه الأرض التى يملكها « سيدنا » واسعة فى المساحة وغنية بالمحاصيل ولكن سياسة « سيدنا » لم تحاول استثمار الأرض للمنفعة العامة وإدخال بعض الإصلاحات العامة لمكافحة الفقر والجهل والمرض . بل كانت سياسة « سيدنا » هى صورة تطبيقية للدروس التى تلقنها من مدرسة الاستعمار فى الهند أيام الاحتلال .

أرسله أبوه وهو فى سن الصبا إلى مدرسة للنبلاء والأمراء فى الهند هى كلية مايو ليتلقى هناك تعليمه الثانوى والاستعمارى . وكانت هذه المدرسة مقصورة على الأمراء من الهنود وغيرهم أنشأها المستعمر ليلقن فيها أساليب الحكم التى صنعها بنفسه ويتخذ من هؤلاء مطايا لأغراضه ومراميه ، وهكذا قضى « سيدنا » حقبة من عمره بين جدران هذا المعهد يتلقى العلم والحكمة وأساليب الحكم على يد أساتذة الاستعمار وأذنابهم .

ومنذ ذلك العهد نشأت فى قلبه الثقة بالمستعمر الذى فتح عينيه ليحميه ويسهل له تطبيق السياسة المشتركة . فما كان منه إلا أن رسم لنفسه خطة لحياته يضمن فيها حاضره ومستقبله . فقسم أرضه إلى قسمين وفصل بين القسم الشمالى « مسقط » والجنوبى « ظفار » واختار لنفسه الأرض الجنوبية « ظفار » لأنها أرض بكر وأهلها بدائيون ، وتجلت سياسته الاستعمارية فى هذه الأرض التى قدر لها أن تفصل عن العالم الخارجى تماماً وحتى عن الأرض الشمالية التابعة له لأن « سيدنا » كان يرى ولا يزال بنظرته البعيدة أن دخول أى حدث خارجى يقلقل مركزه ويهدد مستقبله ففرض قوانين وأنظمة صارمة فى هذا القسم الجنوبى من أرضه ليضمن كل شىء فى قبضة يده .

القسم الجنوبى « ظفار » من أرض « سيدنا » يختلف طبيعة وأرضاً عن القسم الشمالى « مسقط » وأهله فيهم من الذكاء والمخاطرات أكثر مما فى الشمال . كما أنه يمتاز بالكنوز الأثرية القديمة التى بدأ التنقيب عنها كما بدأ الذهب الأسود يسيل على أرضه .

فصل « سيدنا » هذا القسم من أرضه عن القسم الشمالى فصلا سياسياً وإدارياً ومالياً وكرس جهوده فى استثمار هذه الأرض واستغلال أهلها ، فبث الجواسيس والعيون وفرض الرقابة واحتكر التجارة الخارجية والداخلية وفرض عليها رسوماً لا يتحملها كل فرد فضمن لنفسه اقتصاديات البلاد كما ضمن لنفسه امتيازات البترول والآثار . وبهذه السياسة تملك

كل شيء فأجبر كل فرد على الطاعة العمياء والخضوع للقوانين التي صنعها لهم ، وأصبحت هذه الأرض الآن مزرعة له وأهلها عبيده ، وكل ما عليها ومافى داخلها ملكا له لايشاركه فيه أى مشارك . وجنون السلطة المطلقة هي إحدى أمانيه فى الحياة وملذاته . فتراه يقضى العام والعامين فى هذه الأرض التى سنطلق عليها « المزرعة » مطلقاً لنفسه العنان فى الراحة وملذات الصيد غير ملتفت إلى القسم الشمالى « مسقط » من أرضه وما يجرى فيه من أحوال فهو يكتفى بتصدير الأوامر إلى موظفيه بالتلغراف لينفذوها غير عابىء بالنتائج الوخيمة التى تقع على كهولهم أحياناً وتشبه سياسة « سيدنا » هذه بتصدير الأوامر من مزرعته إلى عاصمة ملكه أوامر «باوداى» ملك فيتنام الذى كان يصدرها إلى وزرائه بالتلغراف من ساحل الريفييرا فى فرنسا وهو يلهو بين أحضان الغانيات فى أحد قصوره وضيعاته فما كانت النتيجة إلا أن تنبه شعب فيتنام إلى هذه المهزلة فحطم العرش وكافح المستعمر الذى كان يؤيد صاحب العرش ثم حرر نفسه وكان النصر للشعب صاحب الكلمة العليا .

وأنا لاأشك أن يكون مصير « سيدنا » مثل مصير أخيه «باوداى» فكلاهما ذنب المستعمر وربيبه وكلاهما لا يعترف بحقوق الشعب ، كما أن كليهما له ملذاته الخاصة وجوه الخاص لهذه الملذات .

هذه المزرعة « ظفار » أو الأرض الجنوبية هى دنيا سيدنا وعالمه الخاص فهو لا يبغى ملذات عالم الحضارة كما ينشدها فاروق وباوداى بل

ملذاته هي مزرعته وما تحويه من وسائل نعيمه في الحياة . وهو في هذه المزرعة يتحرر من قيود الرسميات ولا يرى الوجوه التي تكرهه وتشاركه الملكية . فتراه ينطلق في براري الصيد مع عبيده وأذنابه أو تراه قاعداً لسماع تقارير عيونه وإصدار أوامره . وهو إن جلس إلى مكتبه للعمل فإنه لا يجلس لإدارة عمل ذي فائدة بل للتخريب وقمع كل بادرة .

هناك مشروعات كثيرة لهذه الأرض الجنوبية ، المزرعة «ظفار» ، لأجل تحسين مستوى المعيشة والتقدم . ولكنه يهمل كل مشروع من هذا النوع ولا يفكر إلا في المشروع الذي يغدق على خزينته الخاصة المال . همه من وراء كل مشروع جمع المال له لحسابه الخاص ولكن لا يهمه المشروع الذي يعود بالفائدة على الأرض وأهلها .

التعليم ما زال صوريا بالرغم من مضى أكثر من عشرة أعوام على فتح المدرسة الوحيدة للمزرعة « ظفار » وبالرغم من الذهب الأسود الذي بدأت الأرض تمنحه لساكنيها وحاجة الأرض لمن يدير أعمالها ويمسك أمورها . ولكن كما يقول المثل : هذه المدرسة ما هي إلا « ذر للرماد في العيون » كي يوهم الناس بأنه توجد مدرسة ويوجد تعليم في البلاد . حتى الصحة لا يوجد من يقوم بأمرها إذ لا يوجد طبيب واحد ذو شهادة طبية يعتني بسكان هذه المزرعة البالغ عددهم حوالى عشرين ألف نسمة . وكل ما هنالك طبيب غير مؤهل لا يعرف من المهنة إلا قشورها والتدريب مجانا على أرواح الناس بأمر « سيدنا » وهذا الرجل

الذى يزاول الطب هو الطبيب الرسمى « لسيدنا » كما أنه طبيب سكان العزبة كلها .

بهذه الصورة يبيد « سيدنا » السكان فى ظفار و يميتهم موتا بطيئا فى حين أن فى وسعه أن يعتنى بهم و ينقذ حياتهم من الأمراض التى تنهشهم والتى تتغلغل بينهم على مر الزمان .

تركوا له خيرات الأرض تدر عليه المال الوفير من جوفها وظاهرها فضن عليهم بمستشفى يخفف آلامهم و يعالج مرضاهم .

« وسيدنا » برغم تعليمه الحديث مازال متمسكا بتقاليد أجداده ، فله من السرارى عشرات يعشن معه فى حصنه وحياتهن هى حياة الحريم لا يختلطن ولا يخالطن ولهن رقيب خاص من حرس سيدهن هو الواسطة بينهن و بين عالمهن الخارجى .

و بجانب هذه السرارى توجد زوجة حرة « لسيدنا » هى أم ولى عهده البالغ من العمر الآن سن الشباب . وقصة ولى العهد مأساة من مآسى « سيدنا » فهو لم يعلمه حتى الآن التعليم الكافى ولم يدخله مدرسة نظامية بل لم يرسله إلى الخارج للتعليم فأبقاه بين العبيد يتعلم القراءة والكتابة و يلم بشئون المزرعة وأحوالها .

إذا كان يوجد فى هذا العالم عدو للعلم والإنسانية فلاتفتش عليه بعيدا بل هو أمامك ، هو سيدنا الذى حرم حتى ابنه من التعليم فعطل

مواهبه وتركه جاهلا يهيم على وجهه ويقوده حيثما يريد ؛ فى حين كان فى استطاعته أن يبعث به إلى البلاد العربية أو إلى أى بلد بأوربا .

نظرة « سيدنا » بعيدة فى هذا فهو لا يريد أن يتعلم ابنه ويفتح عينيه على الحقائق والحياة فينقلب عليه أو ينافسه قبل الأوان . بل همه أن يبقيه جاهلا يعيش عقله فى الظلمات وليس حظه فى الحياة إلا الأكل والنوم وتلقى الأوامر . فسياسة « سيدنا » رسمها وطبقها حتى على ابنه وولى عهده ليضمن لنفسه البقاء وعدم المنافسة من أى شريك . وربما لا يهمه من يأتى بعده ويملك أرضه وأمواله ولكن يهمه أن يعيش بلا منافس أو شريك أو حتى معترض ومنتقد .

الانتقاد عند « سيدنا » حتى العادل منه تهمة وجناية وصاحب الانتقاد معرض للتوبيخ أو الانتقام الغير مباشر .

ليس الانتقاد فحسب تهمة عند «سيدنا» بل حتى النصيحة . وتروى قصة طريفة عن هذا السياق بأن « سيدنا » حضر حفلة عامة بمناسبة المولد النبوى فى مسقط عاصمة ملكه فتليت السيرة النبوية والناس صامتون وبعد انتهائها كرر أكبر أعمامه « نادر » الجملة الأخيرة من السيرة النبوية وهى « وشاورهم فى الأمر » وكان تكرار هذه الجملة موجها إلى « سيدنا » أكثر مما هو لنفسه . فسمع « سيدنا » ما تفوه به هذا العم فدارت به الدنيا وما استطاع إلا أن يحدجه بنظرة شزراء لفتت إليها العيون القريبة ونكس المنافقون والأذناب والجبناء من الحاضرين

رؤوسهم حياء وخوفا . وانفض الحفل وعم « سيدنا » لا يدرى هل نطق جرما وأغضب الآلهة أم نطق الصدق وتلا قول الحق .

ما من أحد إلا عاتب العم المسكين واتهمه بالجريمة و بعضهم دافعوا عنه فوصفوه بالخرف والجنون وكبر السن . و بقى هذا العم مبلبل الفكر بين أولئك وهؤلاء وما اكتفى « سيدنا » بالأهانة التى ألحقها بعمه بتلك النظرة الشزراء بل عاقبه عقابا اقتصاديا وأجبره فى النهاية على الاستغفار وطلب العفو والرحمة . وهكذا ختمت هذه المأساة وانتصر « سيدنا » فأعطى درسا لكل من يتجرأ عليه بكلمة أو بنصيحة من أفراد عائلته . حتى ولو كانت النصيحة استشهادا بآية قرآنية أو حديث شريف .

***

هذه الأرض الجنوبية « ظفار » المزرعة هى الوطن « لسيدنا » ففيها بيته وزوجته وأبناؤه وسراريه وحرمه . وهو ينشىء هذه الأرض ويبنيها كما ينشىء المهندس مدينة جديدة . فترى « سيدنا » يكد بذكائه فى تصميم هذه الأرض كما توحى إليه مصالحه الخاصة أو شركات البترول ولا يبالى إن قاسى الشعب وكانوا ضحاياه .

بنى له فى هذه « المزرعة » قصرا عظيما محاطا بالأسوار وأنشأ له حديقة كبيرة تعتبر نموذجية فى هذه الأرض وأدخل فيها أنواع المزروعات لتكون جنته ونعيمه وعمل له محطة كهرباء يستمتع بها هو وحريمه

و بعض أذنابه المقربين وحرم أفراد شعبه من استعمال الكهرباء حتى لو طلبوها بفلوسهم . وربما لم يخطر ببال «سيدنا» أن الكهرباء ضرورية حتى للعبيد فهى عنده كمالية لهم وضرورية له هو فقط ولذا تراه يصدر أوامر صارمة بغلق محطة الكهرباء وعدم استعمالها فى أثناء غيابه عن « المزرعة » ، حتى أبناؤه وحريمه وأذنابه يحرمهم من استعمال نور الكهرباء و يعاملهم معاملة العبيد عندما لا يكون هو موجودا بالمزرعة ، حتى ولو امتدت غيبته سنوات .

وهو حاذق فى سياسته الإدارية فقد ترك شئون المزرعة و إدارتها تحت مسئولية رجل سماه «واليا» ، وأمور القضاء والأحكام بيد رجل آخر سماه قاضيا . وهذان الرجلان يحكمان كما ترسم لهما سياسة « سيدنا » وأوامره الخفية ، فما هما إلا خادمان يلبيان الأوامر . و « سيدنا » بهذه السياسة يخدع الجمهور و يوهمه بأن من يحكمه هما الوالى والقاضى كما يفعل المستعمرون فى بعض مستعمراتهم يحكمون و ينفذون بواسطة أمراء وطنيين فيعتقد الشعب بأن المستعمر لا يحكم و إنما هو الأمير الذى يحكمهم .

و «سيدنا» له حرسه الخاص جلهم من هذه الأرض الجنوبية — ظفار — و بعض هؤلاء عبيد بالمال و بعضهم عبيد أحرار . وهو يرفه عنهم فى عيشهم وحياتهم ما داموا صاغرين مطيعين طاعة عمياء لأوامره وقوانينه الصارمة . وهم إذا مررت بهم أثناء حراستهم تراهم واجمين

صامتين كالتماثيل يرتجفون من مولاهم إن فاجأهم أو مر أمامهم لأنه قاس فى تعذيبهم شديد عليهم .

وهؤلاء الحرس من العبيد يقاسون الأهوال فى داخل نفوسهم وما ينكشف منه يعطينا صورة واقعية . وهناك مآس خفية كثيرة لا علم لأحد بها فى الخارج ولكن هذه المأساة الواقعية لا بد أن تكون صورة لإحدى تلك المآسى المتكررة على مر الأيام .

فقد حدث منذ عهد قريب جداً فى الأرض الشمالية — مسقط — عاصمة ملك « سيدنا » أن غضب « سيدنا » يوماً لسبب من أسبابه الكثيرة على أحد حرسه من العبيد فأمر بتعذيبه ، وهناك أنواع من العذاب الذى تفنن فى اختراعه لتعذيب هؤلاء الذين يخدمونه ويحرسونه بل ربما يضحون حياتهم من أجله إن دقت ساعته ، فضرب هذا العبد كما أمر « سيدنا » ضرباً مبرحاً بالسياط حتى سالت دماؤه وبرزت لها آثار على جسمه . وكان هذا العذاب يستمر أياماً ، ففكر هذا العبد فى طريقة توقف هذا المجنون الأرعن عن تعذيبه بهذه الطريقة الوحشية وتحميه فما اهتدى إلا لطريقة واحدة وهى الطريقة الوحيدة الغير مغلقة أمامه والتى لا تخلو من الأخطار الجسام . فلم ينم ليلته تلك واستعد فى الفجر وتسلل خفية من القصر إلى الشارع هائماً على وجهه حتى وصل إلى العلم البريطانى حامى حمى العبيد ومحررهم . فلف ذراعيه حول ساريته وظل يبكى ويروى قصة عذابه بدموع غزيرة وآهات خافتة تفتت

القلوب . وأخيراً جيء به إلى من يستنطقه ويعرف قصته فتلاها على حقيقتها وعيناه مخضلتان بالدموع بكلمات متقطعة لم يستطع أن يستجمعها. وأخيراً رأت السياسة البريطانية حلا موفقا وإن كان مخلاً بمبدأ العدالة والضمير الإنسانى ولكنه تدعيم لنفوذها وإرضاء لعين الحبيب ، وهكذا أعيد العبد إلى سيده فكان كالمستجير من الرمضاء بالنار وطلب الحرية والعدالة فقيد إلى العبودية والعذاب . كلاهما تألبا عليه لأن مصالحهما مشتركة وكلاهما يدعم الآخر ويسنده عند الملمات . وهذه هى السياسة الاستعمارية التى لا تعرف الحق ولا تؤمن بالعدالة ولا تطبق حتى قانونها .

هذه القصة الواقعية ليست مأساة بل مهزلة من المهازل التى تجرى على مسرح أراضينا وأمام أعيننا على مر الأيام والسنين . ولا زلنا ننخدع بالأقوال المعسولة التى يلقيها فى أسماعنا السادة وأذنابهم . ترى ماذا كان مصير هذا العبد بعد أن أعيد إلى سيده ؟ هل يكتفى « سيدنا » بالانتقام والتعذيب حياً أم بالقتل البطىء كما هى عادته ؟

كل من سمع هذه القصة تلك الأيام شدهوا لها بين مصدق ومكذب وبعض الأذناب والمنافقين لم يستطع أن يعلق عليها بل اكتفى بالابتسامة الصفراء ولا حول ولا قوة إلا بالله . أما بعض الأذناب من « التنابل » فقد اهتدى عقله إلى دفاع يدافع به عن سيده أمام الناس فصرح بأن « سيدنا » سوف لا يمس ذلك العبد بأى ضرر وسيعتقه حراً لوجه الله

عند ما يعيده إلى أهله فى الأرض الجنوبية — ظفار — « المزرعة » .

وهكذا طويت صفحة من حياة عبد يعشق الحرية وينشد العدالة .

لم يشأ « سيدنا » أن يمنح امتيازات الذهب الأسود والآثار للشركات البريطانية فى أرضه الجنوبية «المزرعة » مثلما منحهم فى أرضه الشمالية لأنه نظرته البعيدة للماضى والحاضر والمستقبل أعطته درساً عن نتيجة الامتيازات التى تمنح لهؤلاء وأولئك وكانت امتيازات القسم الشمالى من أرضه درساً من تلك الدروس ، فقد انقضى أكثر من خمسة عشر عاماً ولم تبدأ الشركة البريطانية صاحبة الامتياز بأى عمل أو تنقيب للأرض فى حين لم يمض عام واحد على الشركة الأميركية فى الأرض الجنوبية — ظفار — « المزرعة » إلا وبدأت الأعمال وأنشئت المحطات وبدأ التنقيب . وبهذه السياسة كسب لنفسه أكثر مما كسب سكان أرضه .

وكما فرض قوانين صارمة على سكان أرضه الجنوبية — ظفار — « المزرعة » كذلك سن قوانين أشد صرامة على رجال الشركة وعمالها الأجانب . فلهم معسكرهم الخاص حيث يعملون ويسكنون ولكن لا يسمح لأى منهم بالتنقل خارج المعسكر أو الذهاب إلى سوق المدرسة وضواحيها إلا بأمر خاص من « سيدنا » وكل من يتجول من الأجانب

فى المدينة وضواحيها لا بد من أن يرافقه حارس أو دليل من قبل «سيدنا» ليكون حاميه و يراقب حركاته وسكناته ثم يبلغها إلى مولاه .

يرمى «سيدنا» من هذه السياسة إلى إبعاد كل أثر لاختلاط الأجانب بالوطنيين من سكان المزرعة كى يبقى هؤلاء بدائيين على الفطرة لا يكتسبون شيئاً من الحضارة والمدنية . يريد أن يكون سكان مزرعته قانعين بحياتهم ولا يتطلعون إلى حياة الأجنبى التى يحياها لأنها فى نظر « سيدنا » حياة فاسدة تعوج الأخلاق وتغير الشمائل والعادات والتقاليد التى فطروا هم عليها واكتسبوها على مر الأجيال . وهو بتعاليمه هذه لهم انتحل شخصية جان جاك روسو الذى يدعو للطبيعة وترك المدنية والحضارة .

ليت « سيدنا » يضرب المثل بنفسه يوما ما فيعيش كما يعيشون وكما فرض عليهم أن يعيشوا . ليته يتخلى عن قصره المنيف وما يحويه من وسائل الحياة المترفة ليقتدى به عبيده ويؤمنوا عندئذ بتعاليمه . وماذا لو تشبه بعمر بن الخطاب وضرب المثل لقومه فى التضحية والمساواة ؟

إن « سيدنا » يطبق تعاليم الدين و يتشبه بالخلفاء الراشدين فى المظاهر والنواحى التى تتعلق بمصالحه الخاصة ولكنه يضرب صفحاً بالتعليم والمبادىء التى يدعو إليها الإسلام ورسوله ولا يبالى غضب شعبه أو ضميره أو حتى دينه إن خالف ذلك .

فمن تعاليم الإسلام بل ضروريات العصر الحاضر نشر العلوم ؛

و« سيدنا » فى هذه الناحية عدو للعلم والتعليم لأن العلم خطر عليه يهدد مصالحه وربما يقوض عرشه وهو بهذا صارم وضع العقبات الكأداء فى سبيل من يطلب العلم فى الخارج ثم وضع صورة خداعة لمدرسة فى كل قسم من أرضه لا تثمر ولا تؤدى الغرض المطلوب .

وهو لا يكتفى بعمله هذا فى تعطيل مواهب شعبه بل يقف سدا فى وجه تقدمه لإجباره على قبول الوضع الراهن والقناعة بالحاضر .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد ولكن « سيدنا » يقول اطلبوا العلم حتى سن الرابعة عشر أى بعد إتمام الدراسة الإبتدائية . نهاية التعليم عنده هى بلوغ هذه الشهادة الإبتدائية ولا يهمه إن تخرج الطفل من تلك المدرسة وهو بذلك السن فتلقفه الشارع . لا يهم «سيدنا» إن عاد ذلك الطفل من أبناء الشارع أوأصبح متسولا أو حتى فراشاً ، لأنه قد أدى واجبه نحو شعبه من ناحية التعليم فأراح ضميره . وربما يعتبر هذا منة على أفراد شعبه . وهو لا يعتبرهم شعباً بل عبيداً وربما بهائم .

ويقول الرسول فى حديث آخر « اطلبوا العلم ولو فى الصين » ولكن « سيدنا » يقول : اطلبوا العلم فى أراضيكم واكتفوا به فهو لا يشجع على طلب العلم فى الخارج ولا يساعد على ذلك بل هو يمنع بعض الأفراد ويجعل العقبات الكثيرة فى وجوه الآخرين ممن لا علاقة قرابة تربطه بهم .

وكما تفرض الدول قوانين للأجانب الداخلين حدودها والخارجين منها كذلك فرض « سيدنا » قوانين صارمة فى أرضه الجنوبية — ظفار — « المزرعة » للداخلين والخارجين منها . وهذه القوانين ليست صارمة على الأجانب فقط بل على رعاياه سكان أرضه الشمالية — مسقط — التابعة له . إنه لا يسمح لأى فرد من سكان أرضه الشمالية أن تطأ قدمه القسم الجنوبى « المزرعة » إلا بأمر خاص منه . وهؤلاء الذين يسمح لهم يعتبرهم كأى أجنبى يستخدمه من الخارج و يعاملهم معاملة الأجنبى كذلك ، فهم مراقبون فى حركاتهم وتنقلاتهم بشبكة من جواسيسه المنبثة فى كل ناحية ومن خالف منهم القوانين تطبق عليه شريعة الغاب ويبعد إلى وطنه « الأرض الشمالية » — مسقط .

وهو لا يسمح لهؤلاء الأفراد من أرضه الشمالية بالإقامة الدائمة والاستيطان فى المزرعة . فإقامتهم مؤقتة ولهم إجازات يعودون فيها إلى وطنهم فى الشمال، و إن أراد أحدهم أن يتزوج فبإذن خاص من «سيدنا» على شرط أن لا تغادر الزوجة أرض القسم الجنوبى « المزرعة » وتتبع الزوج إلى الشمال .

ولا يوجد فى « المزرعة » — ظفار — فرد من أقرباء « سيدنا » وإن جاءوا فبأمره ولوقت قصير . يريد أن يبعد عن هذه الأرض كل من ينتسب إليه من قريب أو بعيد لتبقى خالصة له لا شريك ينافسه

أو عنصر خطر يهدده . يريد من سكان « المزرعة » أن يبقوا عبيده طائعين يسخرهم لأغراضه ومصالحه الاستثمارية . يريد أن يكون كل شيء له ؛ ما على الأرض وما في جوفها وهو بعد ذلك يتفضل بالفتات وبقايا طعام مائدته ما يراه مناسباً لاخطر منه على صحة عبيده .

إيرادات هذه الأرض الجنوبية — ظفار — « المزرعة » كثيرة وتتضاعف على مر السنين بل تقفز بصورة ملموسة . ولكن مع هذا التضاعف والقفز في ميزانية « سيدنا » لم يطرأ أي تحسن على مستوى السكان وحالتهم الصحية والتعليمية والاقتصادية .

الدخل لا ينفق إلا النزر القليل جداً منه على المرافق العامة أي بنسبة ٥ ٪ والباقي وهو ٩٥ ٪ يخزن في كنوز « سيدنا » بالحصن أو يحول إلى بنوك أوربا وأمريكا احتياطاً للطوارىء وعندما تدق ساعته .

منذ أن وقعت شركات البترول والآثار الأمريكية امتيازاتها مع « سيدنا » وهي تدفع له الرسوم والمخصصات وهو مع هذا الدخل لا زال واضعاً القيود الاقتصادية وممسكا بزمام التجارة الداخلية والخارجية .

وهو لا يسمح لأي تاجر من أرضه الشمالية — مسقط — بفتح محل تجاري في « المزرعة » لأنه سيكون منافسه في الأرباح بالرغم من حاجة « المزرعة » إلى رأسمال من الخارج كي يقوم اقتصادياتها وينشط تجارتها . والتاجر الذي سمح له « سيدنا » بفتح محل تجاري في « المزرعة »

هو رجل هندى ليس من أهلها بل غريباً عنها فاتخذه « سيدنا » شريكه بل وكيله يقتسمان الأرباح ويستنزفان دماء الأهالى .

وهو إن خدع الأهالى شريكه هذا فإنه لم يستطع أن يخادع ضميره والأحرار فى داخل أرضه وخارجها فالكل يعرف سياسته المستترة وما تستهدف من نوايا استبدادية .

فلو جئنا إلى هذا الدخل الذى يربو على مئات الألوف من الجنيهات فى العام لهذه الأرض الجنوبية — ظفار — « المزرعة » لوجدنا أن نصيب الشعب من هذا الدخل لا يبلغ أكثر من ٥ ٪ فلا مستشفيات ولا وزارات ولا موظفون ولا مدارس ولا بوليس ولا محاكم حتى ولا مشاريع عمرانية . وكل ما هنالك من مرافق ينفقها من هذا الدخل هو المدرسة الصورية والطبيب الدجال والوالى والقاضى وجيشه الصغير مع قائده البريطانى الذى يحمى مصالحه ومصالح الشركات الأمريكية أكثر مما يحمى مصالح الأهالى وأموالهم .

فلو قدرنا النفقات كلها على هذه المرافق ثم بالغنا فى التقدير لما بلغت الألفى جنيه فى العام . والباقى ، أين يذهب ؟

عبيد « سيدنا » وأذنابه يقولون أنه حر فى هذا المال يتصرف فيه كما يريد وهو ملك له لا شأن لأحد فيه . ولكن إذا قال العبيد هذا ورددوه فى مجالسهم وخدعوا أنفسهم وضمائرهم فإن الأحرار من أبناء هذه الأرض وتلك يقولون ويعتقدون بأن دخل الأرض ليس ملكا

لشخص واحد ينفقه ويخزنه على أهوائه . وإنما هذا الدخل لأبناء الأرض ينفقه كل من يقودهم ويسوس أمورهم لمصالحهم ومرافقهم العامة .

حتى زعيم عصابة اللصوص يقتسم الغنيمة والدخل بين إخوانه ويشركهم فيها كما شاركوه فى العمل والمخاطر ، إنه زعيمهم يأتمرون بأمره وينقادون له ولكنه واحد منهم ، له ما لهم وعليه ما عليهم .

حب المال مثل حب السيطرة عند « سيدنا » وهو ليس شحيحاً على نفسه بل شحيحاً على أبناء أرضه أكثر مما على نفسه . وهذه إحدى اللذات والمتع فكلما كثر المال كلما عظمت اللذة وقويت السلطة

* * *

أما أرض « سيدنا » الشمالية — مسقط — فكبيرة وأكثر سكاناً من القسم الجنوبى وهناك أقلية مثقفة تنحصر فى عاصمة أرض « سيدنا » — مسقط — كما يوجد عدد كبير من المتنورين فى ساحل هذه الأرض وفى العالم الخارجى ممن يكونون جبهة متحدة مع الشعب العانى ضد المستعمر وربيبه المستبد .

هذه الأرض لها تاريخ مجيد فى الماضى . فقد كانت أعظم دولة بحرية فى القرون الأخيرة عرفها تاريخ العرب ولم تكتف بأن حاربت المستعمر البرتغالى فى أرضها بل طاردته إلى مستعمراته فى الهند وشرق إفريقيا . ثم كان لها النفوذ والسلطة فى ساحل إفريقيا الشرقية . وأصبح لها الصيت هنا وهناك كما أصبح منها الخطر على المستعمر الذى بات ينتظر

الفرص ليفرق ويسود ويستعمر فكان له ما أراد فى الأيام الأخيرة .

انقسمت هذه الدولة فى أيام ضعفها على نفسها إلى قسمين . فسبب هذا الانقسام فصل هذه الأرض عن مستعمراتها فى إفريقيا الشرقية وتكوين دولة مستقلة يرأسها أحد أفراد الأسرة المالكة نفسها — وعلى مر الأيام تقلصت هذه الدولة العربية الإفريقية وضعف نفوذ حكامها حتى أصبحت الآن جزيرة صغيرة — زنجبار — فى ساحل إفريقيا الشرقية تابعة للتاج البريطانى وأصبح سلطانها خليفة بن حارب يتلقى الأوامر من الحاكم البريطانى كما يتلقى أى موظف أوامره من رئيسه .

السلطان الحالى فى هذه الجزيرة الإفريقية خليفة بن حارب هو من نفس عائلة « سيدنا » وهو هرم قد جاوز الثمانين وسياسته لأفراد عائلته ومواطنيه سياسة عطف وتعارف لا سياسة استبداد وبطش . ولكن هذا السلطان مسلوب القوة فهو صورة تحركه أصابع الحاكم البريطانى فليس فى يده مقاليد الأمور ودفة الحكم وليس من حقه أن يقول « لا » بل جوابه لرئيسه دائماً « نعم » .

تشبث المستعمر بهذه المهزلة من الحكومة لخداع الشعب وتخديره بأنه يعيش فى ظل حكومة عربية يرأسها سلطان عربى . وأغلبية شعب الجزيرة من الإفريقيين والمولدين أى الذين هم من خليط عربى إفريقى . أما العرب فهم الأقلية فى الجزيرة وهم أحفاد الذين نزحوا من أرض

« سيدنا » الشمالية فى القرون الأخيرة والقرن الحالى .

هذه الجزيرة غنية بمحصول واحد هو القرنفل الذى تصدره بكميات كبيرة إلى أسواق العالم . وتشبث المستعمر بالحكم والسلطة فى هذه الجزيرة يعود إلى تمسكه بالاحتفاظ بزمام محاصيل القرنفل ليحافظ على مستوى تجارته واقتصاديات بلاده .

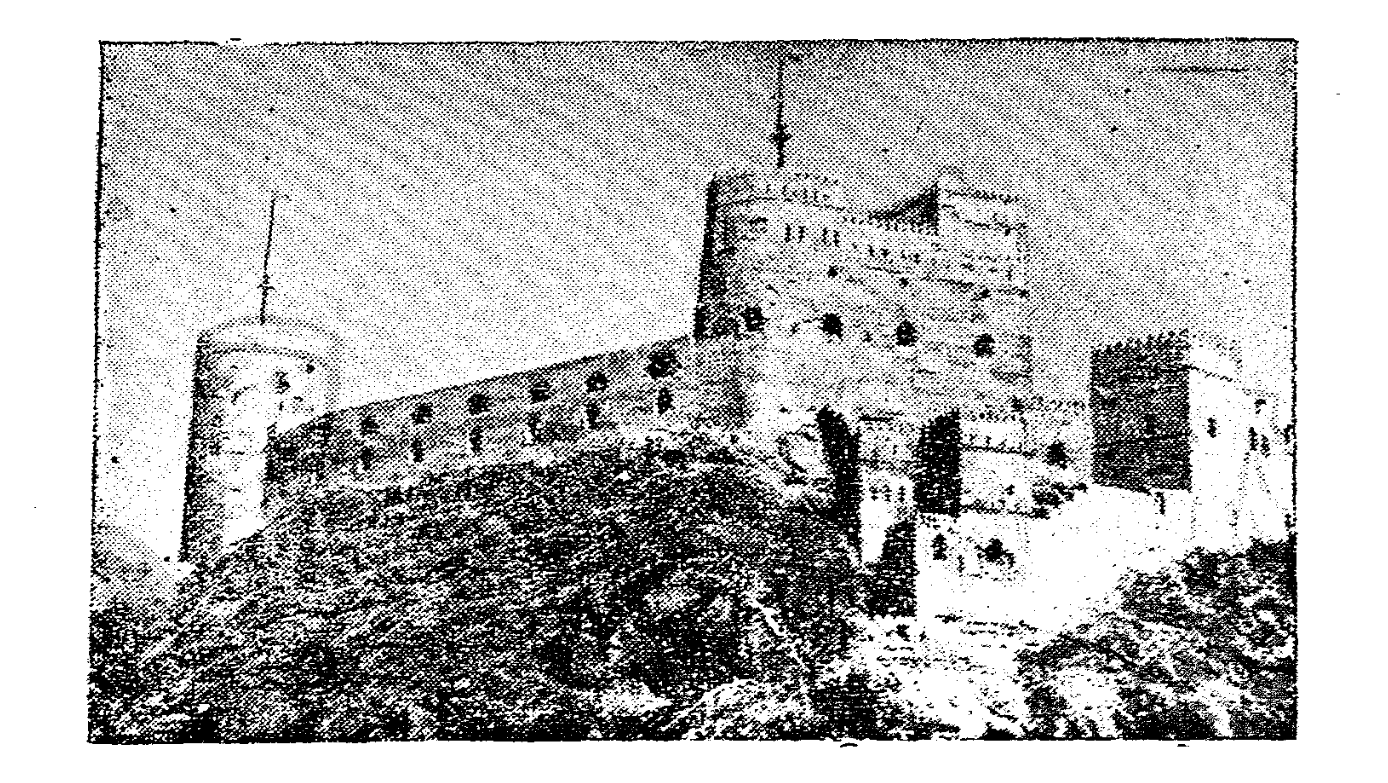
و بالرغم من فقر هذه الجزيرة تحت وطأة براثن المستعمر إلا أن أفراد عائلة السلطان يتمتعون بحقوق وامتيازات يغبطهم عليها أفراد عائلة « سيدنا » فى الأرض الشمالية . فأفراد عائلة سلطان الجزيرة هذه يستطيعون أن يواجهوا سلطانهم فى أى وقت و يتحدثوا معه حديثاً ودياً يشعرون فى جوه أنه حديث عائلى لا حديث سيد ومسود . أما أفراد عائلة « سيدنا » فى مسقط فلا يستطيعون أن يلتقوا به إلا بطلب كتابى سابق إن شاء أجله أو ألغاه . وهذه المقابلة إن تمت فستكون قصيرة ينصت فيها إلى الطلب أو الغرض من الزيارة ثم يجيب سائله كأمر يصدره إلى عبده أو موظفيه بكلمات مختصرة و يختم المقابلة معه حالا . وهذا الطلب أو الغرض من الزيارة يقتصر عادة على المعونة المادية لا غير . « وسيدنا » فى مقابلاته مع أفراد عائلته جاف فى حديثه عابس فى نظراته لا يبتسم معهم ولا هم يتجرأون على الابتسام فى حضرته . وهذا إحدى العلل النفسية التى يقاسى منها أفراد عائلة « سيدنا » .

والامتياز الآخر الذى يتمتع به أفراد عائلة سلطان الجزيرة الإفريقية

— زنجبار — هو حرية التنقل والعمل فالسفر مسموح لكل من شاء منهم إلى أى جهة من الأرض والعمل مفتوح أمامهم فى الجزيرة وخارجها كأى موطن آخر. أما عائلة « سيدنا » فهذا الامتياز ، الذى حرمت منه تلك العائلة ، هو العامل الرئيسى فيما فرضه « سيدنا » عليهم لإرغامهم على حياة الفقر والذلة والهوان . فحرمانهم من السفر والتنقل خارج البلاد وأحياناً داخلها لبعضهم — معناه أولا الحبس كما يدل عليه واقع حياتهم . فالحبس ليس معناه أن يكون الشخص مسجوناً فى قلعة أو سجن من السجون بل الحبس هو حصر بقعة معينة لا يتعدى حدودها ذلك الشخص أو ذلك العدد من الناس وهذا هو الحبس الذى فرضه «سيدنا» على أفراد عائلته .

حكم عليهم أن يسكنوا جميعهم فى عاصمة ملكه — مسقط — تحت مراقبته ومراقبة أعوانه وأذنابه . وسلط عليهم عيونه وجواسيسه ليراقبوا حركاتهم وسكناتهم وأقوالهم العادية منها والتافه أيضاً ليبلغوها له بتفاصيلها سواء أكان هو بينهم فى العاصمة أو فى — ظفار — وهو بعد ذلك يحاكمهم على أعمالهم وأقوالهم وربما يعنفهم أحياناً ويأبى إلا أن يتدخل فى جميع شئونهم الشخصية والعائلية ليشعرهم بأنه راعيهم وما هو فى الحقيقة إلا متطفل على حياتهم ، همه فرض نفوذه وتكسير أجنحة كل من يحاول الفرار من سجنه .

قلت أنه فرض عليهم الإقامة الدائمة فى العاصمة — مسقط —



سجن الاحرار فى مسقط ، ومسقط كلها سجن كبير

وفرض عليهم بجانب هذا أوامر بعدم مغادرتها إلى الساحل أو الداخل — أرضه — إلا بإذن منه أو من أحد أعوانه فى حالة تغيبه وهم على الأغلب لا يغادرون العاصمة إلا لمسافات قصيرة منها ولأيام قليلة جداً إما لتغيير الهواء أو للمصيف . وهذا أشبه بحالة كل سجين من سجون العالم عند ما تعتل صحته فيطلب العلاج أو تنفس الهواء خارج السجن ، بل إن بعض سجون أمريكا وأوربا تقدم للمسجونين جميع وسائل الراحة من كتب وصحف وراديو وألعاب بجانب الحرفة أو العمل الذى يتعلمه و يتدرب عليه المسجون أثناء إقامته فى السجن ليخرج بعد انتهاء حبسه وهو مواطن صالح متعلم .

فسجون أمريكا وأوربا تقدم أسباب الراحة والتعليم للمجرمين والأبرياء على السواء الذين يدخلون سجونها لينتظروا العدالة من القضاء أو العقوبة منه . ولكن سيدنا ماذا قدم لأفراد عائلته ؟ إنه لا يكتفى بحبس أفراد عائلته بين جدران عاصمته بل حطم معنوياتهم وكسر أجنحتهم وجعلهم يعتقدون فى نفوسهم الصغير منهم والكبير عدم النفع للمجتمع والوطن . وأكبر عامل يئنون من وطأته و ينحنون خاضعين لأمره هو الفقر . والفقر هو الذل فى هذه الحياة وهو السيف الذى سلطه «سيدنا» على رقاب عائلته يهددهم به فى كل حين ، والنظام الذى فرضه عليهم لإبقائهم تحت وطأته يئنون منه دائماً وأبداً هو حرمانهم من التوظف إلا بأمره سواء فى حكومته أو فى الشركات والمجالات الأخرى . و بهذا

الحرمان أصبح رزقهم فى يده يتصرف فى مصيرهم كما يشاء . فلا الكفاءات ولا الذكاء ولا الجد فى العمل يخول الترقية وزيادة المرتب بل الطاعة والقناعة والصمت هو ما يطلبه « سيدنا » وموظفو حكومته منهم . ومهما نبه الواحد منهم وتفوق ذكاؤه وبرزت شخصيته فى المجتمع فإنه لا ينال التقدير والاستحسان من « سيدنا » بل على العكس يتخذ له شتى الطرق التى تقف سداً فى حياته ليقبر ذكاءه ويقضى على مستقبله .

والفارق الوحيد بين عائلة السلطان فى الجزيرة وعائلة «سيدنا» فى مسقط هو أن الأولى ليس لأفرادها معاشات شهرية ثابتة فى حين أن عائلة « سيدنا » لها معاشات صورية ثابتة . وهذه المعاشات للكبار منهم وبعض الشباب ، أما الجيل الحاضر الذى ولد فى أيام « سيدنا » فإنه لا يحصل على هذا الامتياز .

وإذا جئنا إلى هذا المعاش نرى أن ضرره أكبر من نفعه على هؤلاء الذين يعيشون منه ويربطون حياتهم عليه . فالمعاش هذا عبودية ومذلة لنفوسهم لأنه مبلغ تافه خصصه لهم لا يكفى لسداد الرمق فضلا عن عيشة الكفاف . وهو يعتبره منة وفضلا عليهم فى حين أنه حق من حقوقهم التى ورثوها كما ورث هو عرشه ومخلفاته .

وهو بهذا المعاش التافه ربطهم وأوهمهم وسد فى وجوههم أبواب الرزق الأخرى . ومهما اقتصدوا وقتروا فى معيشتهم بهذا المعاش التافه فإنهم لا يستطيعون إلا الالتجاء إلى الدين كى يعيشوا عيشة بسيطة يسدون رمقهم ويسترون عورتهم .

وواقع حياة بعض هؤلاء الأفراد من عائلة « سيدنا » يصور لنا البؤس بأجلى معانيه والظلم والعذاب المر . فمنهم من ينحط مستوى معيشته إلى درجة الفقر ولا ينقصهم إلا التسول فى الطرقات مثل عامة الناس . وهم لا يكفون عن التوسل والإلحاح فى التوسل إلى « سيدنا » لنجدتهم وسد رمقهم . وسيدنا يعلم حالهم و يعرف كيف يعيشون و يقاسون ولكنه يريدهم أن يتألموا و يتعذبوا و يتخبطوا لأنه كلما افتقروا وجاعوا كلما خضعوا له وأطاعوه . وهذه عين سياسة « جوع كلبك يتبعك » .

وهم إذا سألوه معونة لتحسين مستواهم فانه لا يمنحهم من المال ما يحسن مستواهم و ينتشلهم من الفقر والعوز بل يمنح السائل مبلغاً يساوى معاشه الشهرى فقط كى يكون دائماً وأبداً فى حاجة إلى السؤال والتوسل له . و بما أن المال عصب الحياة فإن « سيدنا » ملكهم بهذا وحطم كل معنوية فى نفوسهم وأرغمهم على قبول الوضع وحصر تفكيرهم فى أمور بطونهم فقط .

هذه هى الحياة البائسة التى فرضها « سيدنا » على أفراد عائلته فى عاصمة ملكه — مسقط — وهذا هو نوع المعاملة التى يقابل بها أقاربه من إخوان وأعمام وأبناء عم وعمات وغيرهم . ومقابل سلبهم جميع حقوقهم المادية منهم أبقى لهم المظاهر والقشور الزائفة من امتيازات الشرف الرفيعة تحفظ لهم اللقب الخاص الذى يطلق على اسم كل منهم وهو

« السيد » وحفظ لهم امتياز الـكراسى التى تتصدر المجالس ليشعرهم أنهم سادة القوم وأنهم حكام الشعب كما حفظ لهم امتياز التحية العسكرية التى تؤدى لـكل منهم إذا مر فى شوارع المدينة أو مراكز البوليس والجيش.

وسياسة « سيدنا » التى يطبقها على أفراد عائلته تشبه تماماً سياسة الاستعمار البريطانى للصين القديمة فقد اهتدى هذا المستعمر فى تلك الأيام إلى طريقة لاستغلال الشعب الصينى وسلبه حقوقه فخدره بالأفيون وسم عقله وحطم معنويته ليمنعه من المقاومة والنهوض . وقد بقى الشعب الصينى كما عرفنا أعواماطويلة نائماً يحلم من أثر تخديره بالأفيون بينما العالم يتحرك ويتقدم ، إلى أن ظهرت جماعة « اليكسرز » الذين قاوموا هذه التجارة الاستعمارية وحرروا بلادهم من هذا السم الذى يسرى فى دمائها .

و « سـيدنا » سلب حقوق أفراد عائلته ومنحهم مقابلها تلك الامتيازات والقشور الزائفة فأصبحت تأثيرات مظاهر الشرف الاسمية التى منحهم إياها أشد تخديراً من الأفيون . وأصبح الواحد منهم يفضل أن يقاسى الفقر والجهل والمرض من أن يسلب من اللقب أو يحرم من الشرف . ولـكن هناك أملا كبيراً فى أن يظهر قريباً جماعة اليكسرز الذين سيفيقون وينتبهون فيتـكتلون أمام عدوهم الأول — بريطانيا — وربيبها « السلطان » .

ان أفراد عائلة «سيدنا» وشعبه يمرون بمرحلة تاريخية تشبه نوعاًما مرحلة فرنسا قبل الثورة . فالشعب الفرنسى قبل الثورة كان مظلوماً

ومحروماً بل ومسلوب الإرادة والحرية فكان هناك ظلم ولكن الظلم وحده لا يكفى لإشعال الثورة بل الشعور بالظلم . وأخيراً هب هذا الشعور على صفحات كتب فولتير وروسو فتولدت الطاقة الكامنة فى النفوس واختمرت مدة من الزمان حتى انفجرت وحطمت الباستيل وأطاحت بالعرش وعصفت بالظالمين .

الظلم موجود فى أرض « سيدنا » ولكن الشعور بهذا الظلم لم يتولد فى النفوس تماماً وإن كانت هناك بوادر تدل على وجوده فى بعض النفوس القليلة . فإلى أن يتولد ذلك الشعور سنرى أن أفراد عائلة « سيدنا » سيطالبون بحقوقهم المسلوبة ولا يرضون بديلا عنها بتلك الألقاب الزائفة والمظاهر الخداعة . وعند ما يترعرع هذا الشعور فى نفوس شعب « سيدنا » سنراه يتنفس ويطالب ويحتج بل ويدافع عن حريته وحقوقه .

هكذا قضى « سيدنا » على أفراد عائلته فسجنهم فى عاصمة ملكه — مسقط — ودفنهم عن العالم أحياء . وحياتهم الآن أشبه بالموتى فى القبور ، وما ذلك السجن الذى سجنهم فيه إلا قبرهم ومهدهم ، فيه يولدون وعلى أرضه ينشأون ويتعذبون وأخيراً فى باطنه يدفنون .

وكلاء الاستعمار

فى مسقط والخليج العربى

وكلاء الاستعمار فى مسقط

القنصل العام :

يطلق على كل حاكم بريطانى فى إمارات الخليج العربى لقب « الوكيل السياسى » وكان الحاكم البريطانى فى مسقط فى الماضى يحمل لقب « الوكيل السياسى » . ولكن بعد المعاهدة الأخيرة فى سنة ١٩٥٠ أدخل بعض التغيير فى الاسم فأصبح الحاكم البريطانى وممثل الحكومة البريطانية فى مسقط يحمل اللقب الرسمى « القنصل العام لصاحبة الجلالة البريطانية » .

والقنصل العام هذا يتمتع بحصانه دبلوماسية و بامتيازات أخرى . وهو يتلقى جميع أوامره من البحرين المركز الرئيسى لمنطقة الخليج حيث يوجد مقر المقيم العام البريطانى أو رئيس الخليج .

والقنصل العام الحالى فى مسقط هو ميجر ف سى . ل شونسى - وهو أحد رجال الاستعمار الذين كان لهم صفحات سوداء فى تاريخ الهند أيام الاحتلال . وقد كان عمله فى الهند تلك الأيام مستشاراً لأحد المهراجات من الهنود ، وكان يقوم بدور الوصى على ذلك المهراجا الطفل والمرشد له . وظل فى الهند بعد ذلك يتقلب فى مثل تلك المناصب مدة ربع قرن من الزمان أحيل بعدها إلى التقاعد بعد أن أدى خدماته الوطنية لإمبراطوريته على حساب الشعوب المستعمرة .

وفى سنة ١٩٤٩ عند ما فتشت وزارة الخارجية البريطانية فى ملفاتها عن رجل يقوم بمهمة الوكيل السياسى لها فى مسقط لم تجد إلا ذلك المتقاعد الذى أحيل إلى المعاش . فانتزعته من قريته وأمرته أن يتوجه إلى مسقط لحاجة ذلك المركز إلى شخص فى مثل خبرته وتجاربه .

فجاء الرجل الذى يحمل تجارب المستعمر فى ربع قرن ليطبق تلك التجارب فى مسقط . وقد نجح فى مهمته واستطاع أن يفرض شخصه ويقوى نفوذ حكومته وأصبح على مر الأعوام يمثل مركز الوصى والمرشد لأحد المهراجات .

ومن آثار نجاح سياسة هذا القنصل العام أو بالأحرى وكيل الاستعمار أنه لم يكتف بأن احتل مركز الوصى أو المرشد والمستشار الغير رسمى لسلطان مسقط بل استطاع أن يرغم سلطان مسقط على تجديد خدماته مرتين منذ عام ١٩٤٩ .

وأصبح هذا الرجل الذى هو القنصل العام يحكم سلطنة مسقط من خلف الستار ويحرك جيوش السلطان تماماً كما كان يفعل هو وأمثاله من المستشارين الاستعماريين فى الهند أيام الاحتلال .

وقد لعب هذا الرجل منذ سنة ١٩٤٩ دوراً كبيراً فى توطيد النفوذ البريطانى بسلطنة مسقط وكنت طوال إقامتى هناك على اتصالات شخصية معه بحكم عملى فى حكومة مسقط . وكنت فى كل فرصة وحادث أدرس عن كثب أعمال هذا الشخص ونشاطه سواء فى أحاديثه

وكلاء الاستعمار فى مسقط

القنصل العام :

يطلق على كل حاكم بريطانى فى إمارات الخليج العربى لقب « الوكيل السياسى » وكان الحاكم البريطانى فى مسقط فى الماضى يحمل لقب « الوكيل السياسى » . ولـكن بعد المعاهدة الأخيرة فى سنة ١٩٥٠ أدخل بعض التغيير فى الاسم فأصبح الحاكم البريطانى وممثل الحـكومة البريطانية فى مسقط يحمل اللقب الرسمى « القنصل العام لصاحبة الجلالة البريطانية » .

والقنصل العام هذا يتمتع بحصانه دبلوماسية و بامتيازات أخرى . وهو يتلقى جميع أوامره من البحرين المركز الرئيسى لمنطقة الخليج حيث يوجد مقر المقيم العام البريطانى أو رئيس الخليج .

والقنصل العام الحالى فى مسقط هو ميجر ف سى . ل شونسى . وهو أحد رجال الاستعمار الذين كان لهم صفحات سوداء فى تاريخ الهند أيام الاحتلال . وقد كان عمله فى الهند تلك الأيام مستشاراً لأحد المهراجات من الهنود ، وكان يقوم بدور الوصى على ذلك المهراجا الطفل والمرشد له . وظل فى الهند بعد ذلك يتقلب فى مثل تلك المناصب مدة ربع قرن من الزمان أحيل بعدها إلى التقاعد بعد أن أدى خدماته الوطنية لإمبراطوريته على حساب الشعوب المستعمرة .

وطنه انكلترا فى طريقه إلى مسقط جواً . و بعد التحقيق من الورقة التى سقطت من جوازه منع الوزير اليهودى من النزول فى أرض دمشق فأبقى فى الطائرة محجوزاً عدة ساعات حتى أخذته طائرة أخرى إلى البحرين وكان هذا الحادث فى شهر أكتوبر سنة ١٩٥٤ .

ومستر أنيس هذا اليهودى البريطانى الذى يتقلد وزارة خارجية سلطنة مسقط منذ سنة ١٩٥٣ حتى الآن . كان قبلها يشغل منصباً عادياً بسيطاً فى السودان أيام كان لبريطانيا النفوذ هناك . ولكن بعدما نال السودان استقلاله واستغنى عن ألوف الموظفين البريطانيين ، لم تجد حكومته بريطانيا مفراً من توزيعهم على مناطق نفوذها ومستعمراتها الباقية للاستفادةمن تجاربهم القديمة ومكافأتهم على خدماتهم الاستعمارية وكان ، لا على سبيل المصادفة ، بل بعد الترشيح والتعيين ، أن صار مستر نيل أنيس من نصيب سلطنة مسقط . وهذا الرجل بالذات الذى كان يشغل منصباً عادياً بإحدى مصالح السجون فى السودان لمدة ستة وعشرين عاما أصبح فجأة يقفز إلى كرسى وزارة الخارجية . فلا عجب أن شعر بعض من يعرفه من أبناء مسقط ، أنه يتخيل نفسه ماكيلان وينطق باسم السلطان .

ووزير الخارجية هذا هو أحد الدعائم الثلاثة الذين يحكمون مسقط من خلف الستار . والأول هو الوكيل السياسى والثالث هو القائد العام للقوات المسلحة هناك .

رئيس أركان قوات مسقط المسلحة :

هذا المركز الهام يشغله فى الوقت الحاضر أحد وكلاء الاستعمار ممن اكتسبوا تجارب الحرب والمعارك فى أدغال برما وغابات الهند وصحراء ليبيا خلال الحرب العالمية الثانية .

ورئيس أركان قوات مسقط المسلحة هذا له مطلق السلطة فى القوات ويتلقى أوامره من القيادة العامة فى البحرين لمنطقة الخليج حيث يرأسها هناك البريجادير بيرد المستشار العسكرى للمقيم العام البريطانى والقائد العام للقوات البريطانية فى الخليج .

وفى الوقت الحاضر يشغل منصب رئيس أركان قوات مسقط المسلحة الكولونيل واترفيلد الذى عين فى أوائل سنة ١٩٥٤ . وبجانب هذا المركز الهام يقوم هذا الرجل بمهام وزارة خارجية سلطنة مسقط فى أثناء غياب زميله نيل أنيس فيجمع بين القيادة العسكرية والمهام السياسية .

وهذا القائد هو الذى يختار ضباطه بالاشتراك مع زميليه الوكيل السياسى ووزير الخارجية . وجميع هؤلاء الضباط الذين يشتغلون فى جيشه بريطانيون وباكستانيون وليس من بينهم عربى واحد لا من مسقط ولا من البلاد العربية . وقد أتاحت لى بعض المناسبات التحدث معه فى هذا الشأن فسألته عن أسباب عدم تعيين ضباط من أبناء البلاد فى الجيش فأجاب بأنه يوافق ولكن السلطان لا يوافق فى الوقت

الحاضر . و بعد حديث طو يل وجهت إليه سؤالا آخر وقلت له ولماذا لا تعينون ضباطا عراقيين أو أردنيين بدلا من البر يطانيين الذين يتقاضون مرتبات باهظة تكلف الدولة . فأجاب بأن الضباط العرب ربما لا يتعاونون معى وربما يجلب بعضهم أفكاراً جديدة من الخارج لأفراد الجيش تسبب متاعب لنا .

بهذا النمط من السياسة وأمثال هؤلاء تدعم بر يطانيا الآن نفوذها فى مسقط .

ممثل الشركة الاستعمارية :

بجانب ذلك الثالوث الاستعمارى يوجد فى مسقط وكيل آخر يمثل شركة البترول وهذا الوكيل له نفوذ واسع وصلاحيات كبيرة وهو الذى يقوم بدور المندوب بين الشركة والسلطان واختصاصاته كلها سياسية ولا دخل له بأعمال الشركة الفنية وغيرها .

وهذا الرجل يتلقى أوامره مباشرة من أر باب المال الاستعمار يين فى لندن كما أنه يتلقى بعض الأوامر من المقيم السياسى فى البحرين .

و يشغل هذا المنصب فى مسقط فى الوقت الحالى سير وليم لند زى الحكمدار السابق لبوليس السودان .

وهذا أحد المخلفات الذين استغنت عنهم حكومة السودان فكانوا من نصيب مسقط .

شركة شارلز كندل :

بعد الحرب العالمية الثانية و بعد أن نالت الهند استقلالها استغنت حكومة الهند عن آلاف الموظفين والضباط البريطانيين واستبدلت بهم وطنيين . وكان من جملة الضباط الذين استغنت عنهم حكومة الهند رجل يسمى كابتن شارلز كندل الذى استعان ببعض معارفه وأصدقائه على تكوين شركة صغيرة تعتمد كل تجارتها على مشتريات حكومات الخليج العربى .

تأسست هذه الشركة الاستعمارية فى لندن باسم شارلز كندل وكانت تضم عددا من المساهمين البريطانيين ممن كانت تربطه بهم علاقة أو صداقة قديمة بالهند . وأحد هؤلاء الجنرال أوكنلك .

وصادف أن عين بعد الحرب الثانية فى البحرين سير روبرت هيه مقيما سياسياً وكان هذا الرجل يشغل مناصب كبيرة لعشرات السنين فى الهند . وقد ربطت بينه وبين كبتن كندل أواصر الصداقة والمعرفة هناك . فلما أن نقل إلى البحرين وأصبحت له السطوة والنفوذ فى منطقة الخليج تنبه كندل إلى وجوده واستعان به فى الحصول على امتيازات وصفقات رابحة من حكام منطقة الخليج . فكانت النتيجة أن أبرمت اتفاقيات بين حكومات الخليج العربى وعلى رأسها حكومة مسقط و بين شركة شارلز كندل ، ومن أهم بنود الاتفاقية :

١ — أن تتقاضى الشركة ربحاً قدره ٥ ٪ من المشتريات (وهذا الربح اسمى) .

٢ — جميع مشتريات الحكومة ولوازمها من بريطانيا يجب أن تكون بواسطة هذه الشركة .

٣ — أن تدفع كل حكومة قيمة المشتريات والطلبات مقدما .

وقد أبرمت هذه الاتفاقية بين حكومة مسقط وشركة شارلز كندل سنة ١٩٥٠ وكانت المشتريات الأولى التى دشنت بها هذه الاتفاقية بين الطرفين هى أثاث منزل وزير خارجية مسقط السابق مستر وودز بلارد وكانت قيمة هذا الأثاث حوالى عشرة آلاف جنيه استرلينى دفعها سلطان مسقط للترفية عن وزيره البريطانى . وكان هذا المبلغ يكفى لبناء مدرستين ابتدائيتين ومدرسة ثانوية للبلاد .

وبحكم عملى فى وزارة الخارجية كنت اتتبع باهتمام ملفات هذه الشركة الاستعمارية وأحسب فى جدول خاص الابتزازات والأرباح التى كانت تجنيها كل عام .

وفى احدى المرات اكتشف أحد الموظفين بالوزارة تفاوتاً فى الحساب يبلغ حوالى عشرة آلاف جنيه من مشتريات أسلحة للجيش . فلفت نظرى إليه وتعاونا معاً للتدقيق فوجدنا أن التفاوت لم يكن عن خطأ حسابى وخصوصاً أن المبلغ كان مدفوعا سلفا ولهذا عرضنا الأمر على الوزير . فقام بدوره بالتدقيق بعد أن اصطبغ وجهه بالحمرة الشديدة . وبعد أيام جاءنا ليقول راجعوا الشركة فربما لديها مايبرر هذه الغلطة .

وعند ما كتبنا للشركة نستفهم منها عن المبلغ أجابت جواباً طويلا تعتذر فيه عما وقع وتعترف بالمبلغ المذكور .

وهكذا يتعامل وزير سلطان مسقط مع أبناء جلدته لابتزاز أموال الشعب الذى دفعه ضرائب من عرق جبينه

وهكذا يستخدم سلطان مسقط وزراء ينفق على راحتهم ورفاهيتهم عشرات الألوف من الجنيهات كل عام .

وبحكم عملى بهذه الوزارة — أيام كنت بمسقط قابلت هذا العميل الاستعمارى كبتن كندل مؤسس الشركة ورئيسها . وكان قد جاء مرة إلى مسقط قبل سنتين يحتج لدى الحكومة على نقضها للاتفاقية فى أحد بنودها . وكان احتجاجه حول مشتريات وطلبات بلدية مسقط التى لا تتعامل معه . وقد قيل له آنذاك أن البلدية ومجلسها مستقلان عن الحكومة وأن لهما الخيار فى أن يشتريا من أى مصدر يشاءان .

وقد سمعته مرة يتحدث مع أحد المسئولين بأن أرقام المشتريات فى سنة ١٩٥٥ قد بلغت أربعة أضعاف سنة ١٩٥٤ . ثم قال ونحن نأمل أن تبلغ طلبات سنة ١٩٥٦ عشرة أضعاف السنة الحالية لوجود شركة البترول .

وهكذا يجنى هذا الأجنبى هو ومعاونوه من حكومة مسقط وحدها مئات الألوف من الجنيهات سنوياً ، عدا الاختلاسات والأرباح الإضافية

وإذا علمنا بأنه لا يوجد مراقب أو محاسب خاص لمراجعة كشوف

حسابات هذه الشركة أمكننا أن نتصور الأرقام الخيالية التي تمتلىء بها جيوب هؤلاء المستعمرين .

وكلاء الاستعمار في الخليج

المقيم السياسي :

وسير برنارد باروز هو المقيم السياسي في الخليج العربي الحاكم بأمره وهو زوج ابنة أحد أصحاب جريدة التيمس اللندنية وكان يشغل بعض المناصب الغير رئيسية في سفارة بريطانيا بواشنطن وفي سفارتها بالقاهرة ثم نقل بعد ذلك إلى الخليج خلفاً لسير روبرت هيه .

وتحت تصرف هذا الرجل قطع من الأسطول البريطاني المرابط بصورة دائمة في البحرين والمتجول في الخليج . كما أن سلاح الطيران الملكي البريطاني تحت تصرفه أيضاً . ووحدات من الجيوش المرتزقة تحت تصرفه أيضاً .

ودار المقيم السياسي واقعة في منطقة الجفير من المنامة بالبحرين وهذه الدار تطل على البحر حيث تربض قطع الأسطول البريطاني كما أن الدار محاطة ببيوت الموظفين البريطانيين ورجال الشركة والأعمال .

وللمقيم السياسي ملحقون عسكريون وبحريون وجويون وتجاريون وثقافيون وماليون وأهم هؤلاء رئيس ضباط البحرية البريطانية في الخليج

الذى يشرف على قطع الأسطول وتنظيم زياراتها الودية أو هجومها العدوانى . ويأتى بعده القائد العام للقوات البرية البريطانية فى الخليج وهو الآن البريجادير بيرد . واختصاص هذا القائد الإشراف الكامل على القوات البرية لبلدان الخليج العربى سواء كانت القوات البريطانية أو القوات المرتزقة .

ثم يأتى الطيران . ويشرف عليه فى الوقت الحالى جروب كبتن كوت وهذا الرجل هو المسئول عن قوات سلاح الطيران الملكى البريطانى فى الخليج ومنطقته تمتد كما صرح لى من بغداد شمالا إلى ظفار جنوباً .

وهذه القوات الثلاثة — البحرية والبرية والجوية — جاهزة وعلى أتم استعداد فى قاعدة البحرين والشارقة .

كما أنه يوجد ملحقون ثقافيون وتجاريون وماليون بجانب ذلك ، واختصاص كل ملحق من هؤلاء مستقل عن الآخر بإدارته وموظفيه ، وكلها تعمل لخنق الحريات وضرب الحركات الوطنية واستغلال الشعب وابتزاز أمواله .

وهناك فى البحرين بجانب هذا العدد الضخم من الملحقين والمعاونين التابعين للمقيم السياسى ، توجد فى المنامة دار الاعتماد البريطانى ورئيسها هو المعتمد البريطانى فى البحرين . وهو بمثابة وكيل سياسى أو قنصل . وأعمال هذا المعتمد تقتصر على الروتين الإدارى والتأشيرات وهو يتبع

المقيم السياسى ويخضع لأوامره . وقد وضع هذا التقسيم ليخفف من الأعباء عن كاهل المقيم . فدار المعتمد البريطانى بمثابة قنصلية لدار الرئاسة بالجفير .

كما أن هناك شخصاً ثالثاً وضع ليكون مستشاراً لحاكم البحرين وهذا الرجل له صلاحيات واسعة ويحكم حكما مباشراً . وكان المستشار السابق بلجريف قد شغل هذا المنصب مدة ثلاثين عاما . ولكن عند ما تفاقمت الأمور وتغلبت القوى الوطنية لم يجد الاستعمار بداً من استبداله وتعيين مستشار جديد باسم سكرتير الحاكم .

ولكن القومية العربية قد استيقظت وألهبت الشعور الوطنى فى كل بقعة من أرض الخليج ، ولا يمكن أن يعيش أبناء هذه المنطقة فى الظلام بعد أن رأوا النور .

قصة عمان

و

السلطان الخائن

قصة عمان والسلطان الخائن

فى عام ١٩١٤ شنت القوات البريطانية مع قوات مسقط حرباً على عمان . ولما تبين للانكليز أن الدائرة ستدور عليهم وأن أهل عمان الأحرار لا يرضون بالحرية بديلا طلبت بريطانيا الصلح فى ٤ مارس سنة ١٩١٩ و بعثت بمذكرة إلى زعماء عمان تطلب منهم وقف إطلاق النار ، وتعتبر هذه الوثيقة من الناحية الدولية اعترافاً باستقلال عمان . وقد وقعها من قبل الإمام محمد بن عبد الله الخليلى الشيخ عيسى بن صالح الحارثى أمير الشرقية ونائب الإمام . ومن قبل السلطان السيد تيمور ابن فيصل مستر وينكيت باليوزو قنصل الدولة البريطانية بمسقط .

وتضمنت الشروط الآتية بعبارتها : —

الأول — أن كل وارد من عمان من جميع الأجناس إلى مسقط ومطرح وصور وسائر بلدان الساحل لا يؤخذ منه زيادة عن المائة خمسة .

الثانى — أن يكون لجميع العمانيين الأمن والحرية فى جميع بلدان الساحل .

الثالث — جميع التحجيرات على جميع الداخلين والخارجين من مسقط ومطرح وجميع بلدان الساحل ترفع .

الرابع — أن لا تأوى حكومة السلطان مذنباً يهرب من إنصاف العمانيين وأن ترجعه إذا طلبوه منها وأن لا تتدخل فى داخليتهم .

وهذه الشروط الأربعة للامامة اعتراف باستقلالها .

وهناك أربعة شروط للسلطة : —

الأول — كل المشايخ والقبائل يكونون بالأمن والصلح مع حكومة السلطان وأن لا يهاجموا بلاد الساحل وأن لا يتدخلوا فى حكومته .

الثانى — كل المسافرين إلى عمان لمشاغلهم الجائزة والأمور التجارية يكونون أحراراً ولا تكون تحجيرات على التجارة ولهم الأمن .

الثالث — كل محدث أو مذنب يهرب إليهم يطردونه ولا يأوونه .

الرابع — أن دعاوى التجارة وغيرها على العمانيين تسمع وتفصل على موجب ما هو الإنصاف بالحكم الشرعى .

وقد حررت هذه الوثيقة بتاريخ ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٢٠ فى بلدة السيب من سلطنة مسقط التى تبعد ٣٠ ميلا عنها . وقد عرفت هذه المعاهدة بعدئذ بمعاهدة السيب .

وقد اعترف المؤرخون الغربيون باستقلال عمان وسلمت كل المصادر الرسمية البريطانية بهذه الحقيقة فى وقائعها عن عمان ومسقط . فجاء فى

كتاب المعهد الملكى البريطانى عن الشرق الأوسط فى الفصل الخاص بمسقط وعمان ما يلى :

« والحق أنه عند نهاية القرن التاسع عشر لم يتجاوز نفوذ سلاطين مسقط المناطق الساحلية وظفار إلى قبائل داخلية عمان . وفى عام ١٩١٣ اجتمعت القبائل وانتخبت لها إماما كان خليفته عام ١٩٢٠ الإمام محمد ابن عبد الله الخليلى وهو فى الواقع صاحب السلطان على القبائل التى تقيم فى منطقة تمتد نحو مائتى ميل إلى الشمال الغربى والجنوب الشرقى من مقر إمامته نزوى الواقعة إلى الجنوب من الجبل الأخضر . فهذه القبائل البدوية الداخلية تدين له بالوفاء » .

وقال الكابتن اكايز الذى كان يقود قوات السلطان ضد الإمام « إن معاهدة ١٩٢٠ تعد تسليما باستقلال عمان » .

رائحة البترول :

عند ما فشلت بريطانيا فى محاولاتها العديدة فى السيطرة على عمان اضطرت أمام المقاومة العنيدة للشعب العمانى أن تعترف باستقلالها. وقد عبر عن هذا أيضاً من جانب حكومة مسقط مستشارها المالى البريطانى سير برترام توماس سنة ١٩٢٠ بقوله : —

« لقد نصت التسوية على أن تكون لقبائل عمان حكومة من بينها » .

ومع هذا ظلت بريطانيا تدبر الأمر وتعد الخطة للسيطرة عليها . وأخذت تستخدم سلطان مسقط لمهاجمة عمان وظلت تعمل على تقوية حكمه وتقدم له المساعدة التي وصفها سير برترام تومس بقوله : « إن مساعدة بريطانيا جاءت في شكل قرض قدمته حكومة الهند للوفاء بديون الدولة وتنظيم جيش لها يتولى قيادته ضابط بريطاني وقد نصح السلطان بأن يستعين بخدمات وزير بريطاني .

وفي عام ١٩٢٢ أعلن عن وجود البترول في هذه المنطقة فكتب القنصل البريطاني في مسقط إلى السلطان تيمور بن فيصل يخبره بوجود البترول في البلاد وبضرورة عدم منح امتياز استغلاله إلا لبريطانيا . ورد السلطان تيمور على القنصل في يناير سنة ١٩٢٣ بخطاب يؤكد فيه أنه لن يمنح أحداً الإذن باستغلال البترول إلا بعد استشارة الوكيل السياسي في مسقط وموافقة حكومة الهند وأنه بعد أن يثبت وجود البترول في البلاد سيبحث الأمر مع القنصل لاتخاذ التدابير اللازمة وتنظيم العمل ووضع الشروط . وقال السلطان تيمور أن العمل سيكون بطبيعة الحال احتكاراً .

وفي عام ١٩٢٥ منح السلطان تيمور شركة دارس امتيازاً للبحث عن البترول والغاز الطبيعي وغيرها من المنتجات ولكن هذا الامتياز انتهى في عام ١٩٢٩ .

قصة شركة البترول الاستعمارية :

فى عام ١٩٣٧ حصلت شركة « عمان وظفار » لاستثمار البترول التابعة لشركة بترول العراق على امتياز بإنتاج البترول ونقله . وقد وقع المعاهدة السلطان الحالى سعيد بن تيمور فى مسقط قبل رحلته إلى أوربا وأمريكا .

ومنذ أن وقعت هذه الاتفاقية وحصلت الشركة على الامتياز فى سنة ١٩٣٧ لم تبدأ الشركة أى عمل فى البلاد . وحتى بعد انتهاء الحرب لم يحدث أى شىء وبقى الامتياز للشركة وبترول البلاد المدفون احتياطى للمستقبل .

ولكن عندما أمَّم مصدق بترول إيران تنبهت بريطانيا إلى وجود البترول المدفون والامتياز الذى فى يدها . فالتفتت إلى هذا الشطر من المنطقة وبدأت تدق الأبواب من جديد .

فابتدأت الشركة فى أول الأمر بتكوين جيش نظامى يحميها من الشعب . وكان هذا الجيش يتستر باسم « السلطان » ويحمل رايته بالرغم من وجود ضباط بريطانيين فيه وقيادة بريطانية . وباسم هذا الجيش ولأجل مصالح هذه الشركة حدث العدوان الأخير على عمان وأصبحت سلطنة مسقط قاعدة استعمارية بريطانية .

ولتكوين هذا الجيش ونشاط الشركة وعدوان المستعمر قصة أحب

أن أضعها أمام القارىء من أولها لاطلاعى الشخصى على دقائقها منذ بدئها حتى مراحلها الأخيرة العدوانية .

فى شهر يوليو من سنة ١٩٥٣ وصل مسقط ضابط بريطانى برتبة ميجر كان يسمى « ماك جل » يحمل رسالة كتابية من السلطان سعيد ابن تيمور إلى نائبه السيد شهاب بن فيصل يأمره فيها بالتعاون مع الضابط لتكوين معسكر ونواة جيش متنقل للشركة . وكانت هذه الخطوة الأولى لأعمال الشركة . فبدأ الضابط يمارس أعماله وبدأت البواخر تنزل العتاد والذخيرة وبدأ الالتحاق بهذا الجيش الذى خدع به الشعب فاستعاروا له اسم جيش السلطان وفى الحقيقة ، ما هو إلا جيش بريطانى يحمى بريطانيا ومصالح بريطانيا :

وتكون هذا الجيش وتأسس فى مرحلته الأولى ببلدة فلج القبائل من أراضى الباطنة التابعة لسلطنة مسقط . وكان مدربوه ضباطاً بريطانيين وكان عدد أفراده عند التكوين بضعة مئات .

واحتار الشعب فى أمر هذا الجيش ووضعه . ولم يعرف أحد من ذلك الحين ماذا يبيت المستعمر من أهداف لتحقيق مآربه . وكانت الخطة التى وضعها المستعمر مع أعوانه وصنائعه خطة طويلة مرسومة تنفذ على مراحل معينة .

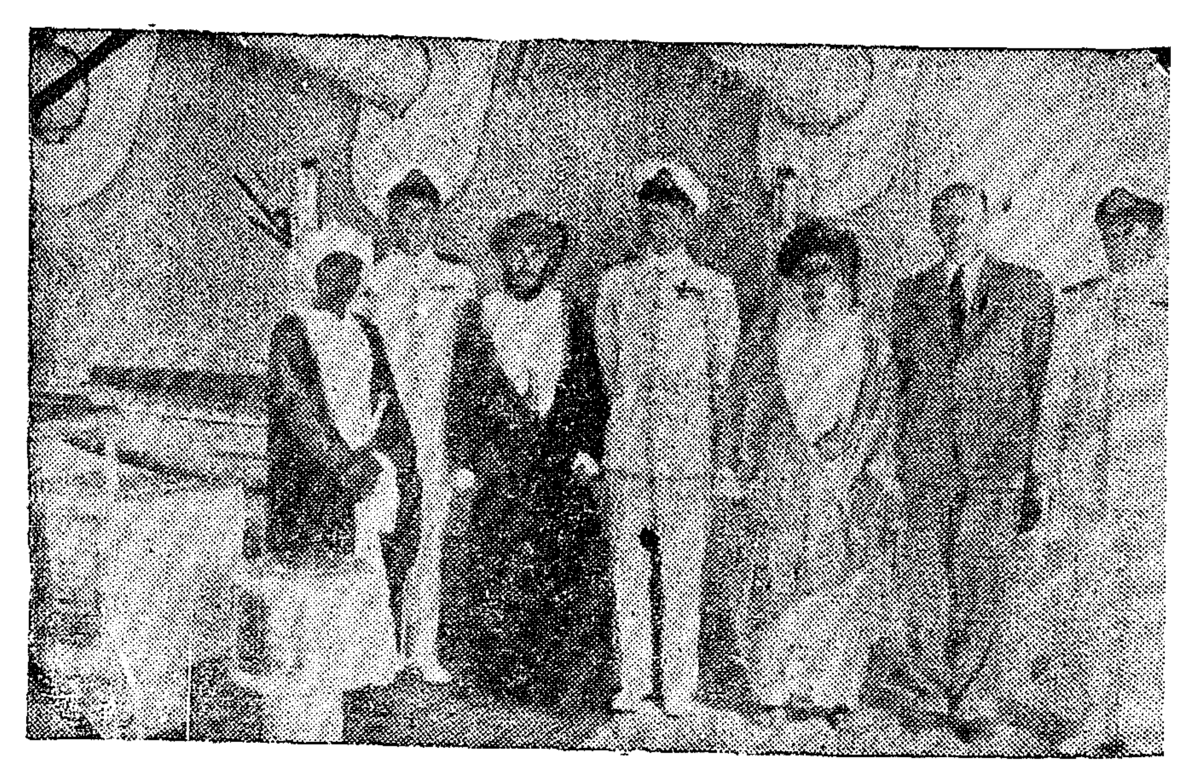
وفى أوائل سنة ١٩٥٤ بدأت المرحلة الأولى لخطة المستعمر تنفذ . فأمر الجيش بالانتقال بحراً إلى ميناء صغير فى الجنوب يسمى رأس دقم .

كما نقلت إلى هناك جميع المعدات والأسلحة والذخيرة . ووصلت البواخر البريطانية تحمل الباقي من العتاد لجيشها . وفي هذا الميناء بالذات تم تدريب الجنود وأصبح هذا المقر مركزاً للقيادة العامة . وإلى هنا كان الشعب حائراً في أمر هذا الجيش لا يعرف ما يرمي إليه وما يهدف إليه.

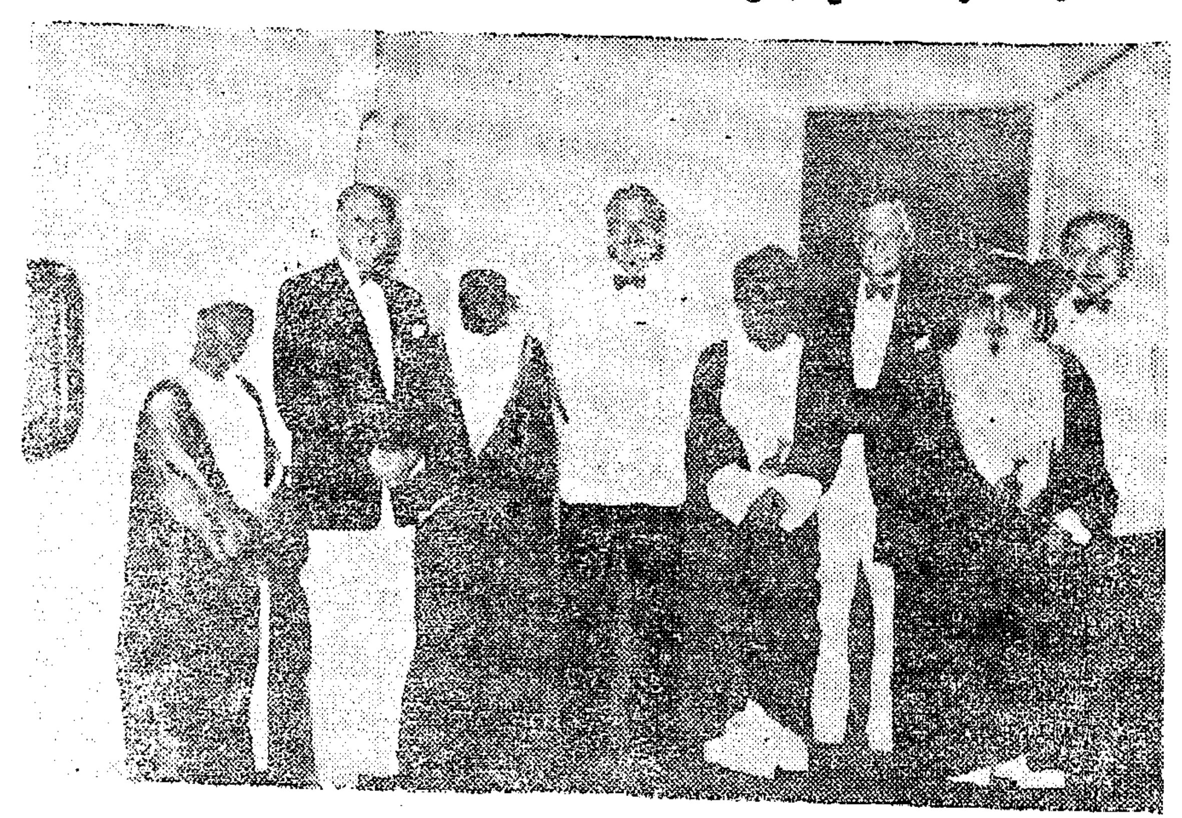
وأخيراً بعد التدريب بدأت المرحلة الثانية تنفذ فزحف ثلثا هذا الجيش بسياراته وعتاده وذخيرته إلى عمان واحتل مدينة عبرى غصباً واعتداء وكان هذا في أواخر سنة ١٩٥٤ . وعند هذه المرحلة بدأت خيوط المؤامرات تنكشف وبدأت الأطماع الاستعمارية تتضح أمام الشعب . فثارت القبائل واحتج الزعماء ولكن ليس من مجيب . وبات الشعب ناقماً يتحين الفرص ولكن المستعمر وأذنابه لم يلتفتوا إلى نداءات الشعب . فدبروا المؤامرة الكبرى في ١٥ ديسمبر سنة ١٩٥٥ وزحفوا إلى العاصمة — نزوى — واحتلوها عنوة وقوة . وعلى أثر هذا أطلقت أبواق الدعايات البريطانية من إذاعات وصحف وغيرها عن إلغاء الإمامة وتوحيد البلاد تحت راية سلطان مسقط . وبرر المستعمر تدخله السافر بأنه مساعدة لصديقهم القديم سلطان مسقط .

وكان هذا العدوان بداية لمرحلة الثورة والفتيل التي أشعلها بعد ذلك في ٧ يوليو سنة ١٩٥٧ بقيادة الإمام غالب بن علي .

وكانت ضربة نزلت كالصاعقة على المستعمر وصنيعته فانهزمت جيوشهم في جميع الميادين وكادت أن تفلت الأمور كلها من قبضتهم



وتحت فوهات المدافع اجتمع نائب سلطان مسقط مع وزير خارجيته اليهودى البريطانى



ان فيصل بن على شهد المؤامرات وسمع كل كلمة وجاء الى القاهرة ليروى
أسرار المؤامرة كاملة ...

لولا أن تجمعت قوات بريطانية أخرى من كل حدب وصوب وأخذت تضرب حتى السكان الآمنين بالقنابل الصاروخية وتشن عليهم هجمات وحشية .

وقد بررت بريطانيا هذا العدوان الغاشم والوحشية البربرية بأن سلطان مسقط هو الذى طلب المعونة العسكرية منها وأنها وافقت على طلبه .

وقد نشرت صحيفة « نيويورك تايمز » فى ٢٧ يوليو سنة ١٩٥٧ مقالا بعنوان « الحاكم الذى يريد البترول « السلطان سعيد بن تيمور » جاء فيه : —

« فى الشرق الأوسط نوعان من الحكام : الأغنياء بالبترول ، وأولئك الذين يودون الاغتناء بالبترول — والسلطان سعيد بن تيمور من الفريق الثانى . والحقيقة أن آماله تقاسمه فيها الحكومة البريطانية وشركات البترول الأمريكية والانجليزية مما جعل حياته معقدة ومشاكله خطيرة . وهذا أحد الأسباب التى دفعته لأن يطلب هذا الأسبوع من أصدقائه المقربين من رجال سلاح الطيران الملكى الهجوم على حصون إمام عمان الشيخ غالب بن على . فمنذ عامين ورجال شركة بترول العراق البريطانيون ينقبون فى عمان ، ولكن إمامها وأتباعه يهددون السلطان فيضطر لأن يلجأ للبريطانيين من وقت لآخر لحصر الإمام فى منطقته .

وإذا ما نجح الإمام هذه المرة فإن السلطان قد يفقد البترول وكذلك تفقده شركة بترول العراق التى تتضمن أسهمافرنسية وأمريكية ويتولى الانجليز إدارتها .

وحلم الانجليز يتلخص فى الحصول على مصدر أساسى للبترول فى ذلك الركن من الجزيرة العربية ذى الموقف الدفاعى المناسب يماثل الحقول الغزيرة فى الكويت والبحرين على رأس الخليج . والسلطان يعى كل هذا فثقافته غربية وهو يقرأ صحيفة التيمز اللندنية ومشترك فى الصحف الأمريكية . وهو يعلم أنه إذا فقد هو والبريطانيون عمان فإنهم قد يفقدون واحة البريمى ، وإذا فقدوا واحة البريمى فإن المشيخات الساحلية التى تسيطر عليها بريطانيا والتى تجاور السلطان من الشمال قد تضيع أيضاً . وستكون السيطرة البريطانية على البحرين والكويت معرضة للخطر والتهديد ، ويمكن أن تقع منطقة الخليج الفارسى كلها فى أيدى العرب » .

أما صحيفة « لوموند » الفرنسية فقد كشفت خطة انكلترا فى عمان بتاريخ ٢٨ يوليو سنة ١٩٥٧ وتتلخص فيما يلى : —

أولا — تركيز عمليات السلاح الجوى البريطانى على قوات الوطنيين العمانيين .

ثانياً — تحصين واحة البريمى حتى لا تتسرب إليها قوات الوطنيين .

ثالثاً — احتلال إقليم عمان بواسطة قوات السلطان البرية بعد أن يكون سلاح الطيران قد شتت شمل الوطنيين .

رابعاً — قيام الأسطول الحربى البريطانى بحصار الشواطىء وغلق الخليج الفارسى لمنع تسرب الأسلحة إلى الوطنيين .

موقف أمريكا :

إن موقف أمريكا من قضية عمان لا يتعارض مع سياسة بريطانيا فكلاهما يرى فى ثورة عمان خطراً عليه ويعتبر النزاع فرصة سانحة للقوى العربية فى هذه المنطقة التى تريد التخلص نهائياً من شركات البترول الاستعمارية . كما يرى أن نجاح الثورة سيكون دافعاً لإمارات الجزيرة العربية على مناهضة النفوذ الغربى وإشعال الثورة التحررية فى المنطقة بأسرها وانتصار القومية العربية .

موقف الجامعة العربية :

اتخذ مجلس الجامعة العربية القرارات التالية فى ١٢ أغسطس سنة ١٩٥٧ : —

أولا — اعتبار تدخل القوات البريطانية المسلحة فى عمان اعتداء صارخاً على استقلالها وسيادتها وسلامة أراضيها .

ثانياً — قيام الدول الأعضاء بعمل جماعى مشترك ، وذلك بطلب عقد جلسة عاجلة لمجلس الأمن للنظر فى هذه القضية ووقف تدخل

القوات العسكرية البريطانية ضد عمان بوصفه مهدداً للسلم والأمن فى الشرق الأوسط ومخالفاً لأحكام القانون الدولى وميثاق الأمم المتحدة .

ثالثاً — بذل المساعى العاجلة من قبل الدول العربية لدى أعضاء الأمم المتحدة لتأييد عمان فى قضيتها العادلة .

موقف مصر :

اتخذ مجلس الأمة المصرى بالإجماع قراراً استنكر فيه اعتداء بريطانيا على شعب عمان المسالم وهذا نص القرار : —

« يقرر مجلس الأمة لجمهورية مصر أنه باسم الشعب المصرى يستنكر أشد الاستنكار الاعتداءات الوحشية على الشعب العربى المسالم فى عمان واستخدامها أسلحة الدمار فى تخريب المدن والقرى والفتك بالسكان الآمنين الذين لا ذنب لهم إلا سعيهم للتحرر من السيطرة الأجنبية . ومجلس الأمة يهيب بالهيئات النيابية فى العالم أن تشاركه الاحتجاج على تلك الفظائع وحمل حكوماتها على التدخل لوضع حد لها تحقيقاً لمبادئ الأمم المتحدة واحتراماً لحقوق الإنسان :

النصر للشعوب :

المعركة فى عمان هى جزء من المعركة التى تخوضها القومية العربية اليوم . والحركة الوطنية فى عمان لا بد أن تنتصر ما دامت تمتد إليها يد العون والصداقة والمساعدة من كل البلاد العربية المتحررة والدول المحبة للحرية والسلام . وسيكون انتصار شعب عمان مرحلة جديدة من مراحل تطور القومية العربية والانتصار على الاحتكارات الاستعمارية .

باب الحرية

إذا الشعب يوماً أراد الحياة

فلا بد أن يستجيب القـــدر

ولا بد لليـل أن ينجلي

ولا بد للقيـد أن ينكسر

الاستراتيجية البريطانية للخليج :

إن بريطانيا بعد أن فقدت نفوذها وخسرت اقتصادياتها بعد الحرب الثانية تحاول بكل الوسائل التشبث بمنطقة الخليج العربى الغنية الموارد . فهذه المنطقة بالنسبة لها الآن مسألة حياة أو موت لأن فقدانها يعنى تدهور الاقتصاد البريطانى إلى درجة الحضيض وجعل بريطانيا فى مصاف الدول الفقيرة .

وتحتكر بريطانيا فى الخليج العربى شركة الملاحة منذ عشرات السنين المعروفة باسم « شركة الملاحة البريطانية الهندية » كما أنها تحتكر شركات الطيران ، وبعض الشركات التجارية الأخرى .

وإذا عرفنا قيمة دخل هذه الشركات وعرفنا أن الفائض من أموال حكومة الكويت من عوائد النفط والمودع فى بنوك انكلترا يبلغ ستمائة مليون جنيه عرفنا سر تشبث بريطانيا بهذه المنطقة الحيوية الهامة .

وعلى هذا فإن الاستراتيجية البريطانية كما اطلعت عليها تقوم كالآتى : —

١ — تعزيز القوات العسكرية المرابطة وإنشاء القواعد وتوسيع المطارات وبناء الثكنات وتنسيق الخطط العسكرية بين مختلف المناطق تحت إشراف وزارة المستعمرات البريطانية .

٢ — مقاومة الاتجاهات الوطنية والثورية والتشدد فى قمعها

بلا هوادة ومطاردة العناصر الوطنية بالتعاون الكامل مع الحكام الرجعيين الموالين لبريطانيا .

٣ — عزل منطقة الخليج العربى عن الكتلة العربية سياسياً واقتصادياً وثقافياً .

٤ — تركيز قوات ضاربة من المشاة والأسطول والطيران تكون مستعدة دائماً لاستخدامها عند ما تقتضى الضرورة ومركز هذه القوات الآن فى البحرين .

٥ — إخضاع المنطقة اقتصادياً لبريطانيا والسيطرة على مصادرها المعدنية والبترولية و إشراف بريطانيا الكامل على اقتصاديات المنطقة ومشاريعها وربطها بالكتلة الأسترلينية .

هذه هى الخطط التى وضعتها بريطانيا لمنطقة الخليج العربى ولكنها نست أن هذه الخطط ستبوء كلها بالفشل فى النهاية أمام قوى الشعوب التى تكافح لنيل حريتها واستقلالها .

وستصل شعوب هذه المنطقة إلى تحقيق أهدافها إذا تكتلت صفوفها وتوحدت جموعها لمحاربة عدو واحد هو السرطان فى جسم الأمة العربية ألا وهو الاستعمار .

وسيأتى اليوم الذى نسكون فيه أحراراً فى أراضينا وتكون ثرواتنا ملكا لشعوبنا .

وما ذلك اليوم ببعيد .

الفهرس

الثمــن ١٠ قروش

الناشر : **المؤلف**

طبع بدار الكتاب العربى بمصر